183 - ـ فصل : إلتماس رضى ا و إن سخط الناس .

العاقل من يحفظ جانب ا D و إن غضب الخلق .

و كل من يحفظ جانب المخلوقين و يضيع حق الخالق يقلب ا قلب الذي قصد أن يرضيه فيسخطه عليه .

قال المأمون لبعض أصحابه : [لا تعص ا بطاعتي فيسلطني عليك] .

و لما بلغ طاهر بن الحسين فيما فعل بالأمين و فتك به وصلب رأسه و إن كان ذلك عن إرادة المأمون و لكن بقى أثر في قلبه فكان المأمون لا يقدر أن يراه .

و لقد دخل عليه يوما فبكى المأمون فقال له طاهر : لم تبكي لا أبكى ا عينك فلقد دانت لك البلاد ؟ .

فقال : أبكي لأمر ذكره ذل و سره حزن و لن يخلو أحد من شجن .

فلما خرج طاهر أنفذ إلى حسين الخادم مائتي ألف درهم و سأله أن يسأل المأمون لم بكى ؟ فلما تغذى المأمون قال : يا حسين إسقني .

قال لا و ا لا أسقيك حتى تقول لم بكيت حين دخل عليك طاهر ؟ .

قال : يا حسين و كيف عنيت بهذا حتى سألت عنه ؟ قال : لغمي بذلك .

قال : يا حسين أمر إن خرج من رأسك قتلك .

قال : يا سيدي و متى أخرجت لك سرا ؟ .

قال : إني ذكرت أخي محمدا و ما ناله من الذلة فخنقني العبرة فاسترحت إلى إفاضتها و لن يفوت طاهرا مني ما يكره .

فأخبر حسين طاهرا بذلك فركب طاهر إلى أحمد بن أبي خالد .

فقال له إن المعروف عندي ليس بضائع فغيبني عن عينه قال : سأفعل .

فدخل على المأمون فقال : ما بت البارحة قال : و لم ؟ قال : لأنك وليت غسان بن عباد خراسان و هو و من معه أكلة رأس فأخاف أن يخرج خارج من الترك فيصطلمه .

قال : فمن ترى ؟ قال : طاهر بن الحسين فعقد له فمضى فبقي مدة ثم قطع الدعاء للمأمون على المنبر يوم الجمعة .

فقال له صاحب البريد : ما دعوت لأمير المؤمنين قال : سهو فلا تكتب .

ففعل ذلك في الجمعة الثانية و الثالثة فقال له : لا بد أن أكتب لئلا يكتب التجار و يسبقوني قال : أكتب فكتب .

فدعا المأمون أحمد بن أبي خالد و قال : إنه لم يذهب على إحتيالك في أمر طاهر و أنا أعطي ا عهدا إن لم تشخص حتى توافيني به كما أخرجته من قبضتي لتذمن عقباك .

فشخص و جعل يتلوم في الطريق و يعتل بالمرض فوصل إلى الري و قد بلغته وفاة طاهر .

قلت : و لما خرج الراشد من بغداد و أرادوا تولية المقتفى شهد جماعة من الشهود بأن الراشد لا يصلح للخلافة فنزعوه و ولى المقتفي .

فبلغني أنه ذكر للمقتفي بعض الشهود فذمه و قال : كان فيمن أعان على أبي جعفر .

و على ضد هذا كل من يراعي جانب الحق و الصواب يرضى عنه من سخط عليه .

و لقد حدثني الوزير ابن هبيرة أن المستنجد با كتب إليه كتابا و هو يومئذ ولي عهد و أراد أن يستره من أبيه قال فقلت للواصل به : و ا ما يمكنني أقرؤه و لا أجيب عنه .

فلما ولي الخلافة دخلت عليه فقلت : أكبر دليل على صدقي و إخلاصي أني ما حابيتك في أبيك فقال : صدقت أنت الوزير .

و حدثني بعض الأصدقاء أن قوما ألحقوا إلى المخزن بعض دين لهم ليستخلص فقال المسترشد لصاحب المخزن : خلصه لهم و خذ ما ضمنوا لنا .

فأحضر ابن الرطبي و عرض الأمر عليه فقال : هذا أمر بظلم و ما أحكم فيه .

فقال : إن السلطان قد تقدم قال : ما أفعل .

فأحضر قاضيا آخر فبت الحكم فأخبر الخليفة بالحال .

فقال : أما ابن الرطبي فيشكر على ما قال و أما الآخر فيعزل و ذلك لأنه بان له أن الحق ما قاله ابن الرطبى .

و كذلك ما طلبه السلطان من أن يلقب ملك الملوك فاستفتى الفقهاء فأجازوا ذلك و امتنع من إجازته الماوردي فعظم قدره عند السلطان .

و مثل هذا ـ إذا تتبع ـ كثير .

فينبغي أن يحسن القصد لطاعة الخالق و إن سخط المخلوق فإنه يعود صاغرا .

و لا يسخط الخالق فيفوت الحظان جميعا